

تقديم

الجذر مفهوم متوارث عن أعمال مقارناتيين القرن التاسع عشر، والتي حوّلتها وضعا نظريًا محددًا في مسار تطوره التاريخي. فقد عرّف مقارناتيو اللغات الهند-أوروبية (أنطوان ميبي Antoine Meillet، وإيميل بينفينيست Emile Benveniste)، وأيضًا السامياتيون (جان كانتينو Jean Cantineau، ومارسيل كوهين Marcel Cohen) من بعدهم، الجذر باعتباره كيانًا غير قابل للاختزال دون زوائد أو لواصق؛ إنه العنصر المشترك بين مجموع الكلمات المنتمية إلى نفس الأسرة الصرفية. ويتبوأ الجذر في اللغات الحامية السامية (أو اللغات الأفرو-أسيوية) وضعا خاصا يجعله في صلب النحو، إذ لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة هاته اللغات.

ويشمل الجذر الأحادي أو المتعدد المقاطع في اللغات الهند-أوروبية صوامت وصوائت على حدّ سواء. أما في اللغات الأفرو-أسيوية، وخاصة السامية، فمن المسلّم به أن كلمات نفس الأسرة الصرفية تتقاسم جذرا مكونًا حصريا من صوامت متقطّعة تحمل مدلولًا عامًا .

وقد تبنّت الدراسات الأمازيغية التصور أعلاه منذ الأعمال الأولى لأندري باصي André Basset، وظل سائدا إلى أن ظهرت بحوث اعتمدت إطارات نظرية حديثة. ويبدو أن المجال الذي تتجلى فيه الطبيعة الصامتية للجذر الأمازيغي بصورة واضحة هو القاموسية أو صناعة المعاجم، حيث ترتب الكثير من القواميس مادتها استنادا إلى هذا المفهوم.

غير أنه مع تطور الدراسات الحامية السامية، وإمام أفضل بطريقة اشتغال لغات منتمية إلى فروع أخرى لهذه العائلة اللغوية، بات التصور الصامتّي الصّرف موضع تساؤل وتشكيك. فقد قام بعض الباحثين المرموقين، من طينة دافيد كوهين (David Cohen)، بتفنييد هذا التوجّه، معرّفًا الجذر باعتباره فونيمات منسّقة وليس صوامت. كما ذهب دراسات أخرى، مانتحة من

تطورات النظرية التوليدية خاصة، إلى إمكانية اشتقاق الكلمات من صور تحتية مجردة، تضم الصوامت والصوائت على حد سواء.

تناول المساهمون في هذا العدد من المجلة، كلٌّ من زاوية مجال تخصصه اللغوي (أمازيغية، وعربية، وعبرية) من جهة، والإطار النظري المعتمد من جهة أخرى، طبيعة العناصر المكونة للجذر وطريقة اشتغاله.

وقد انتظمت المساهمات المخصصة لموضوع الجذر في ثلاثة عشر مقالا، تألف منها عدد خاص من المجلة. رُصدت للأمازيغية ثمان دراسات: خمس منها باللغة الفرنسية (ليونيل غالان Lionel Galand، وكريم عشاب، وعبد الله بومالك، ومحمد الحروشي، وكمال نايت زراد)، واثنان بالإنجليزية (كريم بنسوكاس، وفاطمة الحمدي)، وواحدة باللغة العربية (نورة الأزرق). أما العربية المغربية فقد خُصّصت لها أربع مقالات، ثلاثة منها بالإنجليزية (عبد العزيز بودلال، وأيوب نُعمان، وزبيدة الزباني)، وواحدة بالفرنسية (محمد الملياني). وتناولت مساهمة واحدة العربية الفصحى والعبرية، وهي محررة باللغة العربية (عبد الكريم بوفرة).

في دراسته لثنائية جذر - صيغة، أبرز الراحل ليونيل غالان¹ الدور الوزان الذي يلعبه هذان المفهومان في اللغة الأمازيغية، مُبيِّنا أن وصل أحدهما بالآخر يساهم في تفاعل المعجم والنحو، وكاشفا عن دينامية هذا الترابط الذي يُبيِّن مظاهر تطور اللغة والتوجهات التي تتجلى في مناحي أخرى من البحث. فثمة انتقال متدرج من لغة نحوية معللة إلى لغة معجمية غير معللة.

ومن خلال فحص مكانة الجذر المعجمي في النحو التوليدي وكيفية تناوله، قدّمت مساهمة كريم عشاب طريقة إدراج هذا المفهوم في مختلف المجالات اللسانية. فعالج، في البداية التصوّر التجريدي الخالص للدلائلين التوليدين، ثم وقف عند وجهات النظر المعجمية وغير المعجمية إضافة إلى المقاربة المورفولوجية. وعرض في الأخير موقف اللسانيات السيكلوجية من الجذر

¹ والعدد قيد الطبع، تلقينا، ببالغ الأسى والأسف، نعي الأستاذ ليونيل غالان Lionel Galand (1920-28 أكتوبر 2017)، الذي انتقل إلى عفو الله. والفقيه عضو بالهيئة العلمية مجلة أسيناك، ساهم في أعدادها بتقييمه للمقالات، وبالحوار العلمي الذي خصّ به ملفّ العدد الحادي عشر حول التعدد اللغوي بأفريقيا الشمالية عبر التاريخ. وبالنسبة لهذا للعدد، فقد كان أول مساهم أرسل مقالته في الأجل المحدد. والراحل من أبرز أقطاب اللسانيات الأمازيغية، تخرّج من مدرسته وتحت إشرافه أجيال من الباحثين، ولأعماله وقع وازن في حقل الدراسات الأمازيغية.

المعجمي، معتمدا ظواهر من اللغة السريّة langage secret من جهة والقراءة أوحبسة اللسان l'aphasie من جهة أخرى .

أما مقال كريم بنسوكاس فهو مساهمة في النقاش النظري الدائر حول دور الجذر الصامت في الاشتقاق. إذ يورد الباحث جملة من الدلائل التي تنفي الجذر الصامت في تاشلحيت، ويقترح مقارنة صرفية تُتيح للمفردات الممكنة فونولوجيًا أن تشكل أساسا للاشتقاق، مدافعا عن إدراج الصوائت في هذا الأخير. ومن ثم، بينت الدراسة أن التمييز بين الأصول التي تقف على صامتٍ وتلك التي تنتهي بصائتٍ تمكن من تصوّر جديد لأسس الاشتقاق، ويبدو أن الكثير من السيروارات المورفولوجية تعزز هذا الأخير.

وتناولت مساهمة عبد الله بومالك وضع الصائت في الجذر الأمازيغي فاحصة التصور التقليدي كما يتجلى في الأدبيات الحامية السامية. فبعد أن وقف الباحث عند مفهوم الجذر وناقش حدود هذا التصور الأخير، فخص طرق معالجته في المؤلفات القاموسية محلًا دور الصوائت في الصّرف الاشتقائيّ والصّرفيّ، وقد اعتمد في ذلك على متن متنوع مستقى من مختلف التنوعات اللهجية.

وسعت فاطمة الحمدي في دراستها لمقولة الحالة وصرف الأسماء في حالتَي الإلحاق والإرسال إلى فحص سلوك الصائت الصدري في بنية الجذر معتمدة النظرية الأمثلية la théorie de l'optimalité. فبينت أن التصوّر الصامتِي للجذر لا يقدم صورة واضحة عن ظاهرة ثبوت الصائت الصّدرِي، مؤكدة أنّ التفاعل القائم بين قيود سلامة البناء من جهة وقيود التصنيف أو التصاقب les contraintes d'alignement من جهة أخرى يمكن من مقارنة كافية لصرف الحالة التي تتأسس على بنية الجذر.

وقدّم محمد الحروشي في مقاله مجموعة من الدلائل التحريبيّة والنظريّة التي تدعّم الطابع الصامتِي للجذر في الأمازيغية. فكشف، انطلاقا من نموذجين من نماذج اللغات السريّة، قدرة المتكلمين على فصل صوامت جذرية صرفة في كلمات منتمية إلى تاشلحيت، وتغييرها بعمليات صرفية مختلفة، من قبيل الإلصاق والتّضعيف والتكرار. وفضلا عن العمليات الصرفية، اعتمد الباحث أيضا لدعم فرضيته على سيرورتين فونولوجيتين؛ تمّ الأولى المخالفة الشفوية لسوابق أفعال المشاركة وأسماء الفاعل، وتتعلق الثانية بالانسجام الأمامي لسابقة الفعل السببي، وخلص إلى أن هاتين السيرورتين رهيبتان بطبيعة صوامت الجذر دون الصوائت أو اللواصق.

وتناول كمال نایت زَرَاد بالدراسة الجذور متعدّدة الدلالة في الأمازيغية، والتي لها علاقة بمجالات الرؤية والنظر والانتظار من جهة، وبالطيران والقفز من جهة أخرى. فبيّن أن نفس الجذر قد يُعبّر أحياناً عن جميع هذه الدلالات، مؤكداً على شيوع هذه البنية الدلالية في العديد من اللغات المنتمية إلى نفس العائلة اللسانية (العربية والعبرية...)، وكذا في اللغات الهند-أوروبية. وأشار إلى أن بعض الجذور الأمازيغية تتسم بتعدد دلالي منتظم، حيث تحيل جذور مختلفة على نفس المعاني، كما أن نفس العلاقات الدلالية تتجلى في لغات أخرى. ويرى الباحث أن استثمار هذه التوازيات الدلالية، في غياب للوثائق القديمة المكتوبة، قد يعود بنفع كبير على الدراسات الأثائية والمعجماتية الضرورية لتطور القاموسية.

وشكك عبد العزيز بودلال في مقاله حول الدارجة المغربية في التصور التقليدي للجذر مدافعا عن فرضية مفادها أن قاعدة اشتقاق الفعل قد تتضمن عناصر صامتة وعناصر صائتية على حدّ سواء، مستندا في ذلك إلى ثلاثة براهين: أ) ثنائية الوحدة العروضية bimoraicité المكونة للجذع، وهو ما يقتضي وجوبا احتواء الفعل غير المشتق على وحدتين عروضيتين، ويفترض، من ثمّ، وجود صوائت تحتية؛ ب) السيوروات الصرفية، ولا سيما الإصاق، والتي تتطلب التمييز بين الجذع والكلمة المكونة من مقولتين فونولوجيتين مختلفتين؛ ج) صورة الفعل السببي باعتباره سيورة تكرر تتخذ من صورة مطابقة للكلمة الفونولوجية قاعدة اشتقاق.

واهتم مقال محمد الملياني بدراسة أصل الاشتقاق في العربية المغربية باعتباره مكونا من مكونات البناء المورفو-فونولوجي للكلمة، ففحص إمكانية تطبيق نظريات لسانية كلية على الدارجة المغربية فيما يتعلق باعتبار الجذر أساس الاشتقاق، فقام بداية بعرض جملة من المعلومات المشتركة بين الأصل والمشتق، ثم وصف، بعد ذلك نموذجين ممكنين من نماذج الأصول الاشتقاقية، معتمدا لتوضيح ذلك على مقولة الصفة، والجذر الحامل لمعنى شكلي ودلالي، والمدخل المعجمي القابل للإفقار أو التخصيص الكلي.

وفي مجال الدارجة المغربية دائما، عالج أيوب نعمان سلوك الجذر باعتباره أصل اشتقاق صور الفعل السببي المشتق، مقدّما حججا نظرية تُحول الجذر وظيفة مورفولوجية. إن المقاربة الجذرية، حسب الباحث، لها ميزة تمكّنها من تفادي عدم اتساق الأصل، ولا تطابقه ولا توافره. في حين أن المقاربة التي تتخذ من الكلمة أساس الاشتقاق تؤدي إلى: أ) غياب اتساق صورة الفعل السببي المشتق مقارنة بالصورة المصرفة التامة أو غير التامة؛ ب) ضياع جزء من المادة الفونولوجية للأصل؛ ج) غياب الأصل المناسب في بعض الحالات.

ومن جهتها، حلّلت زبيدة الزباني الاشتقاق الرجعي في العربية المغربية باعتباره وسيلة تُبَيِّنُ بموجبها أفعال من أسماء مقترضة، مؤكدة على اعتبار استخراج الجذر سيرورة أساسية في اشتقاق الصيغ الفعلية. فكشفت عن أهمية هذه العملية في النقاش الدائر حول الأصل في اللغات السامية (الجذر الصامت أو الكلمة أو هما معا)، وانتهت الباحثة إلى أن الاشتقاق الرجعي للمقترضات في العربية المغربية يقدّم أدلة دامغة على أن الجذر أساس التمثيل الصرّي- المعجمي.

ويشمل الشق المحرّر بالعربيّة في هذا العدد دراستين، أولاهما لنورة الأزرق، وسعت فيها إلى الكشف عن طبيعة الجذر في اللغة الأمازيغية من خلال مناقشة ثلاث مسلمات تأسست عليها القاموسية الأمازيغية، ويتعلق الأمر بالبنية الصرفية والترتيب الجذري للمادة المعجمية، والواقعية اللسانية للجذر، والطبيعة الصامتية الصّرفة لهذا المفهوم. وقد انطلقت الباحثة من عرض مختلف المقاربات التي خصّصت الجذر في اللغات الحامية - السامية؛ ثم تناولت بالنقاش الحجج التي اعتمدها المدافعون عن الترتيب الجذري للمادة المعجمية، وخلصت إلى استبعاد الواقعية اللسانية عن الجذر من جهة، والطبيعة الصامتية الصرفة لمكوناته من جهة أخرى.

وتناولت المساهمة الثانية، لعبد الكريم بوفرة، دور الجذر في بناء الكلمات في ثلاث لغات: العربيّة والعبرية والآرامية. حيث ذهب الباحث إلى أن هذا المفهوم يميّز من مقارنة قضايا تتجاوز بناء الكلمات؛ إنه مفتاح يفسّر وجود جذور ثنائية الصوامت أو ثلاثية أو أكثر. وقد نالت العربية مكانة مميزة في المقارنة المعتمّدة، نظرا لطبيعة الجذر الذي عرف تطورا انتقل بموجبه من مرحلة المقطع الأحادي في الآرامية، مروراً بمرحلة المقطع الثنائي في العبرية، ووصولاً إلى مرحلة المقطع الثلاثي في العربيّة. ويدلّ هذا الانتقال من مقطع بسيط إلى مقطع معقد عن الدور الذي لعبته اللغات الثلاث عبر تاريخ الفيلولوجيا السامية.

وفي باب العروض، قدّم خالد عنسار قراءة نقدية ل "المعجم الأمازيغي - الفرنسي (لهجة أيت ويرا. الأطلس المتوسط) (*Dictionnaire amazighe-français : le parler des Ayt*) (Wirra, Moyen Atlas, Maroc) لمؤلفه أوسيكوم بناصر، وهو من منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سنة 2013. وخصت نورة الأزرق عرضاً نقدياً لكتاب "معجم العالم البحري لمنطقة سوس" (*Dictionnaire du monde marin de la région du Souss.*) وهو من تأليف رقية دشينة أوعمو، ومن منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، سنة 2015.

أما باب ملخصات الرسائل والأطروحات، فتضمّن تعريفا برسالة الدكتوراه التي ناقشها عبد السلام بومصر سنة 2015 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان في موضوع "تمظهرات الترادف البيلهجي في الأمازيغية: محاولة لإعداد المعجم الأمازيغي للمتادفات".

وفي الختام، لا يسع إدارة وهيئة تحرير مجلة أسيناك إلا أن تتقدم بجزيل الشكر للسادة الأساتذة الذين تكلفوا عناء قراءة مواد هذا العدد وتقويمها، وهم : الحسين المجاهد، وعبد العزيز بودلال، ويوسف حدوش، ومحمد الحروشي، وعلي سبيعة، وأحمد الشرفي، وكريم عشاب، وخالد عنسار، وعبد اللطيف الغادي، ورشيد لعبدلوي، ومحمد يعو، وسعيد بمواز.

أسيناك-2015